دور الشباب فى البعث الاسلامى

الاستـــاذ عبد الكبيـــر المدغـــرى
استاذ بكليـــة الشريعة بفـــاس

موضوع مقالنا هذا هو « دور الشباب فى البعث الاسلامى » ولا نريد ان نجعله مقالا وعظيا نحث فيه الشباب ليتحرك وينفعل وينشط فى القيام بدوره فى البعث الاسلامى المنشود لان المفروض فى الشباب انه حركة كله وانفعال ونشاط وليس هو بحيث يصح منا ان نتوجه اليه بالنصائح فى هذا الباب . وانما نريد ان تكون هذه المقالة ضربا من الدراسة لنظرة الشباب الى الدين وموقفه منه والموانع التى تمنعه من القيام بدوره كاملا فى بعث الاسلام والدعوة اليه والدفاع عنه والتحزب له والانطلاق منه فكرا وسلوكا والرجوع اليـــه فى كل ما يتصل بالحيـــاة الخاصة والعامـــة .

فنحن نستهدف اذا تصحيح نظرة الشباب الى الاسلام ونريد ان نضع الاسلام امام الشباب كاختيار بين الاختيارات وكانتماء خاص فى العقيدة والفكـــر والسلوك وكمنهجية ونمط من انماط الحياة الماديـــة والروحية للانسان يختلف عـــن الانماط المعروفـــة بخصائص ومميزات لا توجد الا فيه .

ونحن مع هذا وبعده نحاول ان نحدد العوائق والمثبطات التى تحول بين الشباب وبين اسهامـــه اسهاما كاملا وطلائعيـــا فى الكفاح الـــذى نخوضه جميعا من اجل البعث الاسلامى .

ولعل احسن طريقة لاقناع الشباب بالقيمـــة الخالدة للاسلام هى ان نختار له جملة من اقوال العلماء المفكرين ولكن الشباب لشىء من العناد خلقه الله فيه ربما لا يقتنع اذا نحن اخترنا هؤلاء العلماء من بين الاعلام المشهورين فى الاسلام كابن تيميـــة ومحمد عبده لأن هؤلاء واضرابهم لا يسلمون فى راى الشباب من التعصب لدين آبائهم الذى تسرب الى قلوبهم مع النور الاول الذى فتح عيونهـــم فما راى الشباب فى ان نعرض عليه الاسلام كما تراه طبقة عالية من مفكرى الغرب درسوا الاسلام وادركـــوا حقيقته وقيمته فآمنوا به ودعوا اليه واخلصوا كل الاخلاص فى نصرته لأنهم وجدوا فيه ضالتهم وراوا فيه الدين الوحيد القادر على تخليص البشريـــة مما تتخبط فيه واصابوا فى تعاليمه سموا وكمالا وهداية وبشرى .

فهذا باحث اجتماعى المانى ورجل من رجال السياسة درس الاسلام فآمن به واصبح يحمل اسم (محمد أمان هو بوهم) يشرح لنا لماذا اعتنق الاسلام فيقول :

اولا : لان للحق دائما قوته والعقائد الاساسية فى الاسلام كلها تتفق مع العقل وطبيعة البشر .

ثانيا : تأكيده مبدأ التسامح (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائـــل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

والصلوات اليومية تعلم الناس المواظبة كما ان الصوم يعلم الانسان ضبط النفس والسيطرة عليها .

ثالثا : ان المسلم يؤمن انه حيثما كان فهو فى دائرة رقابة ربه ومن هنا كان ضميره نقيا .

(يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور) .

ـ وهذا عالم لغوى وجيولوجى ومؤلف انجليزى هو البوفسور (هارون مصطفى ليون) اعتنق الاسلام بدوره وقال عنه :

« من مفاخر الاسلام انه مبنى على العقل ولا يطالب معتنقيه ابدا بتجميد طاقاتهم الفكرية مخالفا بذلك عقائد اخرى تلزم تابعيها بالاعتقاد الاعمى لمذاهب وآراء معينة دون تفكير فيها على اساس أن ذلك من شأن الكنيسة بينما يحض الاسلام على البحث ويدعو الى النظر والتدبر قبل التصديق والايمان .

ـ ويقول الدكتور عمر رولف من النمسا وهو استاذ علم الاجناس البشرية :

كان اهم ما استرعى انتباهى الى الاسلام :

1 ـ ما يقرره الاسلام من تتابع نزول الوحى وهو يدل فى نظرى على ان الاديان الكبرى انما صدرت كلها من منبع واحد .

2 ـ الاسلام فى روحه يهدف الى السلام وذلك بالامتثال للشريعة الخالدة .

3 ـ يؤكد الاسلام روح الاخوة الانسانية الشاملة بين عباد الله ..

ولا نطيل بذكر اقوال اخرى بل يكفى أن ننبه الى ما جاء فى الاقوال السابقة من ان الاسلام :

له قوة الحق .

وانه : يؤكد مبدا التسامح وروح الاخوة الانسانية .

وانه : ضمانة للضمير النقى .

وانه : من نفس المنبع الذى صدرت منه كل الاديان السماوية السابقة .

وانه : دين الاسلام .

وانه : مبنى على العقل ومتفق مع طبيعة البشر .

هذا هو الاسلام روعة وكمال يقف شامخا عزيزا تتصاغر امامه كل الدعوات والايديولوجيات والمذاهب والنحل انه هداية الله للبشر وشريعة للانسانية جمعاء « ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

ان للشيوعية مظاهرها الخلابة وكذلك الشأن فى الديمقراطية العلمانية ولكن ليس فى اى منها نظام متكامل لحياة طيبة كريمة . ان الاسلام وحده هو الذى يقدم هذا النظام المتكامل .

والآن ماذا يمنع الشباب من القيام بدوره فى البعث الاسلامى ؟ :

أولا : لقد تظافرت جهود المبشرين والاستعمار والصهيونية على تشويه صورة الاسلام فى عقول الشباب ونفوسهم . حقدا منهم على هذا الدين الذى بفضله وبفضله وحده تحررت الشعوب العربية وخرج الاستعمار واذنابه من اراضيها يجرون اذيال الخيبة.

ان الوطنيين الذين استشهدوا فى ساحة الشرف خلال حروب التحرير التى خاضتها بلداننا ما قدموا ارواحهم الا باسم الجهاد فى سبيل الله وما استماتوا فى الكفاح الا لنيل درجة الشهداء التى بشرهم بها الاسلام .

واننا اليوم لا يهزنا شىء نحو فلسطين اقوى من الاسلام ومقدسات الاسلام وبالامس القريب حررنا الصحراء بمسيرة القرآن وبجيش فريد سلاحه

الوحيد كتاب الله . فالاسلام اذا هو العدو الاول للاستعمار والصهيونية ولقد كان صادقا ذلك المستعمر الذى قال فى احدى خطبه وهو يحمل المصحف بيده : « لن يقر للاستعمار الانجليزى قرار فى مصر ما دام هذا المصحف بين أيدى المصريين » .

فمن الطبيعى ان يحاول اعداؤنا خلق الفتنة بيننا ببث الدعوات المغرضة ونشر المذاهب الهدامة وصدق الله العظيم حيث قال : « الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وصدق الله العظيم « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » .

ثانيا : والامر الثانى من الامور التى تنت فى اعضاء شبابنا وتؤخرهم عن الصفوف الاولى فى المسيرة المباركة نحو البعث الاسلامى هو ان الخلية الاولى فى مجتمعنا وهى الاسرة لا تقوم بواجبها كاملا فى هذا الباب نظرا لضعف المستوى الثقافى لدى جمهور الآباء والامهات بسبب تفشى الامية وطغيان العادات والتقاليد البالية على كثير من العقول واختلاط التفكير الدينى عند العوام بكثير من الخرافات والاساطير التى من شانها أن تعطى للشباب فكرة خاطئة عن الاسلام وتجعله ينفر منه ويزهد فيه كزهده فى كل المدركات التى لا تلائم عقله الرياضى وفكره المتوقد .

وهذا الحكم على الاسرة المغربية ليس على اطلاقه بطبيعة الحال لاننا لا ننكر وجود عائلات كثيرة تتوفر بحمد الله على العقيدة السليمة والفكرة السلفية الطاهرة سواء تلك التى اوتيت حظا من التعليم والثقافة او تلك التى بقيت على الفطرة .

وبالاضافة الى ذلك فاننا نلاحظ ميلا الى التساهل فى امور الدين فى وسط الكثير من عائلاتنا الشىء الذى لم تكن الاسرة المغربية معروفة به طوال تاريخها المجيد فسلطان الآباء قد تضاءل واصبح الابناء يكتسبون حظوظا من الحرية لم تكن لهم فى يوم من الايام . وأمام هذا التطور الكبير فى الروابط الاسرية لم يعد الاب قادرا على منع ابنته من الخروج بالملابس التى تخالف مقتضيات الدين او حلق شعر ولده اذا ارسله مقلدا للهيبين أو غير ذلك مما يمنعنا الوقار من ذكره .

عند ما اراد علماء النفس تعريف الضمير قالوا « انه صوت الاب » وهذا تعريف عجيب . فنحن نسمع الاب دائما يخاطب ابنه افعل كذا واترك كذا واجتنب كذا واحذر من كذا فيبقى هذا الصوت يتردد فى أعماق الابن ويكبر معه الى أن يصبح ضميرا . والاب يمثل الاسرة فلا حاجة الى ذكر الام وان كان صوتها داخلا فى تكوين الضمير بلا اشكال .

وهذه المسألة تجلو خطورة المهمة التى انيطت بالاسرة فى تكوين الابناء . فالاب والام هما اللذان يخلقان الضمير باذن الله تعالى وعلى حسب تصرفهما فى هذا الخلق تبعا لمشيئة الله سبحانه تزيد نقاوة الضمير أو تنقص وهذه أحسن ترجمة للحديث الشريف كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه .

وعند ما نقوم بالاصلاح اللازم للاسرة المغربية فاننا سنكون قد قمنا باصلاح ضمائر الشباب بطريقة غير مباشرة وماذا من صلاح بعد صلاح الضمائر .

ثالثا : حاجة الشباب الى الايمان وافتقاره الى الاقتناع الكامل بالاسلام فعند ما يؤمن الشباب ويقتنع يتحرك ويعمل دون حاجة الى من يأمره بالحركة او ينصحه بالعمل طبيعة فيه وخلقة ولا شىء اروع واكمل من عمل الشباب المؤمن بعمله .

وبهذه المناسبة نريد أن نقدم للشباب طريقة للايمان هى طريقة الاسلام وهى منهج التفكير الدينى

الذى لا نجده كاملا فى مذهب من المذاهب او دين من الاديان كما هو فى ديننا الحنيف .

وقبل ذلك لا بد من تمهيد :

ـ يقول سقراط فيلسوف اليونان الاشهر : « هذا العالم يظهر لنا على النحو الذى لم يترك فيه شيء للمصادفة اطلاقا » .

ويقول الدكتور (كرونين) الذى كان ملحدا ثم أصبح مؤمنا : « اذا تأملنا الكون واسراره وعجائبه ونظامه ودقته وضخامته وروعته لا بد ان نفكر فى اله خالق من ذا الذى يتطلع الى السماء فى ليلة صيف صافية ويرى النجوم اللانهائية تتألق بعيدا ثم لا يؤمن بأن هذا الكون كله لا يمكن أن يكون وليد الصدفة العمياء ؟ وعالمنا هذا وهو يدور فى الفضاء فى حركة دقيقة منظمة وفصول متتابعة لا يمكن ان يكون مجرد كرة من المادة خالية من الدلالة نزعت من الشمس والقيت فى الفضاء بلا معنى او سبب .

وليس ما قاله سقراط وكرونين وغيرهما الا ذرة مما اشار اليه قول الله تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأى حديث بعده يومنون » وقوله سبحانه : « يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار » ولكننا أصبحنا لا نقتنع الا اذا ذكرت لنا اسماء هؤلاء الغربيين !

فأسلوب الاسلام فى الهداية ان يلفت نظر الانسان الى الكون ونظامه جملة وتفصيلا ويدعوه الى التأمل والتفكر فى نفسه كجزء من الكون وفى السماوات والارض وفى الليل والنهار وتبدل الاوقات وتعاقب الفصول والشهور حتى اذا استغرق الانسان فى هذا التفكير بعيدا عن هيمنة المعتقدات الموروثة او سيطرة الكهان او خرافات الاوثان او اى نوع من الجبر او القسر اذ « لا اكراه فى الدين » وصل الى حقيقة عظمى تعد قاعدة لكل شيء وهى ان هذا الكون لا بد له من خالق .

والاسلام يعطيه الاسم الحقيقى لهذا الخالق وهو « الله » انه خالق هذا الكون الذى راينا انه لا بد له من خالق .

ويتأكد الانسان من وجود الله وتطيب نفسه بالايمان ويطمئن قلبه الى الاسلام عند ما نضع بين يديه كتاب الله ونقول له كما قال تعالى « ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم » وينكب الانسان من جديد على دراسة هذا الكتاب وتدبر معانيه واكتناه اسراره فيستريح الى ان بين يديه دستورا كاملا ينظم حياته الفردية والجماعية تنظيما لا قبل للبشرية به ولا طاقة لهم على الاتيان بمثله .

وهذه هى المرحلة الثانية من التفكير الدينى فى الاسلام فاذا آمن الانسان بالله وبأن القرآن هو كتابه لانه هو الكتاب الوحيد الذى يتناسب مع الكون فى عظمته ومع الله فى جلاله . لم يبق له بعد ذلك الا ان ينساق مع ما يترتب على الايمان بالله وتصديق القرآن من العمل الصالح البناء .

فهناك اذا تجربة ينطلق فيها الانسان بحرية كاملة يضمنها له الاسلام والمطلوب من الانسان فى التجربة أن يفكر تفكيرا سليما حرا .

وله ان يستعين فى تفكيره بكل معطيات العلم بل ان العلم ضرورى لنجاح التجربة فالاسلام لا يخاف من العلم بل يأمر به .

هذه هى تجربة الايمان ولهذا آمن بالاسلام عدد كبير من المفكرين والعلماء على ان الايمان قد يحصل للانسان بطريقة لا حيلة له فيها فيقذفه الله فى قلبه ويلهمه ويهديه ويرشده فيجد حلاوة الايمان فى قلبه فضلا من الله واحسانا .

— ثم ان الانسان اذا رأى من يفضلونه عقلا وعلما وخلقا ومكانة كالصحابة رضوان الله عليهم وكالسلف الصالح من علماء الملة قد آمنوا وصدقوا آمنا وصدقنا وهذه طريقة ثالثة وهى طريقة القدوة الحسنة .

رابعا : ولعل من اخطر ما يقف حائلا بين الشباب وعقيدتهم انهم لم يقتنعوا بعد بضرورة وجود العقيدة فى قلب كل انسان يسعى نحو الكمال ويعمل لتحقيق أشرف الآمال ، ويريد ان يكون له ذكر واعتبار فى عالم الصراع وعالم المنافسة وعالم القوة والغلبة .

لقد خاض الشيوعيون حروبا طاحنة وانتصروا لان قلوبهم كانت فيها تعاليم كارل ماركس وغيره من شياطين البدعة الشيوعية .

وخاض الالمان حروبا اخرى وكادوا يبتلعون العالم لان النازية كانت قد سكنت صدورهم وملاتها انانية وصلفا وتجبرا وحبا فى التفوق والغطرسة والسيادة .

وكانت فكرة الحرية تحرك مدافع جورج واشنطن وابراهام لنكلن فى امريكا وهى التى مسخت اليوم واصبحت ليبرالية عاتية وامبريالية متعنتة ورأسمالية علمانية الحادية تشعل الحرب فى كل بقاع العالم .

حروب زائفة خاضتها وتخوضها عقائد زائفة والعاقل يستنتج أمرين :

أولهما انه لا بد للناس من عقيدة .

وثانيهما أن هذه العقيدة لا بد أن تكون أصيلة عالمية انسانية ممتدة على مدى الزمان تنشر السلام وتبث الخير وتقرب الانسان من أخيه الانسان وتخلق بين دول العالم وأفراده تعاونا وتكاملا يتيحان للحضارة الانسانية ان تحقق للفرد ما يرجوه من سعادة حقيقية قائمة على العلم والايمان، وهذه العقيدة يجب أن تكون صادرة من السماء لان حكم السماء برىء من شوائب الارض ومن أهواء النفوس البشرية واطماع القلوب المريضة ولا نرى هذه الاوصاف تنطبق على عقيدة انطباقها على الاسلام ومن شاء دليلا فليقرأ قوله تعالى : « قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » وقوله « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » فهو دين عالمى . وقوله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فهو دين المساواة وقوله تعالى « ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا واق » فهو من الديان لا يتبع الاهواء .

من صحيح الامام البخارى

روى ابن عمر فى كتاب الديات .

قول النبى صلى الله عليه وسلم :

لن يزال المومن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما .